الاستعارةُ في الخطابِ السيَّاسي الفلسطيني والإسرائيلي: دراسةٌ لسانيةٌ معرفيةٌ تأسيسيَّةٌ

حسين نايت علي

طالب باحث في سلك الدكتوراه "اللسانيات وقضايا اللغة العربية"
مختبر الإنسان والمجال في العالم المتوسطي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية
جامعة محمد الخامس، الرباط، المغرب

ملخص:

نروم من خلال هذا المقال إلى إبراز كائنية التصور في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي منذ انبثاقه باعتباره خطابا يخاطب العقل (الإقناع) والقلب (التأثير)، وذلك استنادا لنظرية الاستعارة التصورية. لقد تم الاشتغال بخطاب إسماعيل هنية وخطاب بنيامين نتنياهو لبيان أن الاستعارة التصورية استراتيجية من استراتيجيات الخطاب السياسي التي يستند إليها الفاعل السياسي الفلسطيني والإسرائيلي، قصد تمرير مضامين عديدة توحي على الموقف الصارم للمقاومة الفلسطينية لإنصاف الشعب الفلسطيني على أساس التحرير من جهة، وعلى التنوير الإسرائيلي ضد دول مجموعات الظلام والحيوانات البشرية من جهة ثانية. سعى إسماعيل هنية وبنيامين نتنياهو في خطابيهما إلى تأسيس نسق تصوري بوعي أو بغير وعي، مبني على إيديولوجية وثقافة مسبقة.

كلمات مفتاحية: الاستعارة التصورية – الخطاب السياسي - إسماعيل هنية – بنيامين نتنياهو.

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

نايت علي، حسين. (2024، نونبر). الاستعارةُ في الخطابِ السيَّاسي الفلسطيني والإسرائيلي: دراسةٌ لسانيةٌ معرفيةٌ تأسيسيَّةٌ. مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، المجلد 1، العدد 8، السنة الأولى، ص 479-516.

Abstract:

Through this article، we aim to highlight the objectivity of the concept in the palestinia and Israeli political discouse since its emergence as a discouurse that addresses the mind)persuasion(and the heart)influence(, based on the theory of conceptual metaphor.The speech of Ismail haniyeh and the speech of Benjamin netanyahu were used to show that the conceptual metaphor is a strategy of the political discourse strategies that the palestinian and israel political actors rely on, with the aim of passing many contents that suggest the strict position of the palestinian resistance to do justice to the palestinian people on the basis of liberation on the one hand, and the israeli enlightenment against the countries of the groups of darkness and animals humanity on the other hand. In their speeches, Ismail haniyeh and benjamin netanyahu sought to establish a conceptual system, consciously or unconsciously, based on a preconceived ideology and culture.

Keywords : Conceptual metaphor - political discouse - Ismail haniyeh - Benjamin netanyahu.

تقديم

يعد الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي أقوى الخطابات تأثيرا وإقناعا –لغته أخطر في تأثيرها من السيف والذهب – يتجاوز كونه مجرد لغة إلى كونه ممارسة عملية، يسعى من خلاله الفاعل السياسي (إسماعيل هنية ونتنياهو نموذجا) إلى توجيه أفكار للجماهير عبر تلاعبات لغوية، وبنى تصورية مسؤولة عن الاستعمال والتفكير والفهم. وتكمن خطورته في بنياته اللغوية التي عادة ما نتجاهلها وفي بعض الأحيان نجهل مقصودها، و لا نَعِي قدراتها التأثيرية.

لقد تعددت دوافع ظهور الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي منذ احتلال الكيان الصهيوني للأرض المباركة، وذلك لتغليط العالم وإيهامه من طرف الكيان من جهة، وطمأنة الفلسطينين وبيان الجرائم المقترفة من لدن المقاومة الفلسطينية من جهة ثانية. فكان الخطاب جزءا لايتجزأ من المعركة، به يتم التواصل السياسي منذ ذلك الحين إلى اليوم (الانتفاضة الثالثة بزعامة حركة حماس) الذي عرف توجها آخر بين الكيان الصهيوني والمقاومة ليس فقط على أرض الواقع، بل في طريقة صياغة الخطابات السياسية بينهما.

إن هذا الصراع الواقعي بين المقاومة والكيان الصهيوني أصبح متجليا في الخطابات السياسية الثنائية، ودليل ذلك الحدث الأبرز الذي عرفته المنطقة؛ وهو عملية طوفان الأقصى أو الانتفاضة الثالثة إبان السابع من أكتوبر عام 2023، معركة شنتها المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، و على رأسها حركة حماس عبر ذراعها العكسري كتائب القسام، والسبب الرد على انتهاكات الكيان الصهيوني في باحات المجسد الأقصى المبارك، واعتداء المستوطنين الإسرائيليين على المواطنين الفلسطينيين في القدس والضفة والداخل المُحتل .

تَبع ذلك، الصراع الخطابي بين الطرفين، والذي كان يحمل بين طياته رسائل عدة تفيد التوعد، وعدم الاستسلام، و السيطرة، و المقاومة، و نزع الشرعية . . . .واستخدام الخطاب كان نقطة قوة لكلا الطرفين، تحاول به المقاومة الفلسطينية طمأنة الفلسطينيين، وحثهم على الصبر ، و المزيد من الصمود لمواجهة الاحتلال الغاصب، والوقوف سدا منيعا أمام انتهاكاته التي لاتحصى؛ وذلك من أجل إيقاظ وعي الشعوب (أميريكا نموذجا)، على استغفالهم وسرقتهم ودفعهم ثمن حروب الكيان الصهيوني.

من جانب آخر، يستخدم الكيان الصهيوني -الخطاب- تبريرا للجرائم التي تقترف في حق الفلسطينيين، والتي يشاهدها العالم بالصوت والصورة، وضرب الأعراف الدولية، وقوانين حقوق

الإنسان، وانتهاك المقدسات والأراضي الفلسطينية، محاولا التوسل بالخطاب لإخفاء الممارسات البشعة القهرية التعذيبية ضد الفلسطينيين.

لقد فرض الخطاب السياسي نفسه ليكون متنا للدراسة، وذلك لارتباطه الوثيق بنصوص مختلفة تتفاعل داخله، إذ تجتمع فيه النصوص البلاغية والأدبية والدينية والتاريخية والعلمية إلخ، وبذلك اختلفت مداخل معالجته وآليات مقاربته وفق التوجه المعرفي. وتعد الاستعارة أهم التقنيات التي يُخاض بها الخطاب السياسي حجاجا ومغالطة وسلطة، لذلك كثيرا ما تكون استعارات السياسي مقصودة، وحاملة لتصور معين هو نتاج تجربة مشتركة، لممارسة أكبر قدر ممكن من التأثير في الآخر.

إن الاستعارة لم تعد طريقة في الكلام فحسب، بل هي، وقبل ذلك، ما به نفكر، يعني ذلك أنها انعكاس لما تختزنه الذاكرة من معتقدات وتصورات وأفكار؛ ووجودها في الخطابات لا يمكن أبدا أن يكون حياديا، بل هو تعبير يجسد قوة الذهن في احتفاظه بالتجارب عبر الحواس. فحضورها ليس عاديا وإنما هو لغاية ممارسة لممارسة قوة التأثير على المتلقي السامع، ومن ثمة العمل على تغيير تصوراته ورؤاه، كما نجد في الخطاب السياسي، الذي يستند كثيرا إلى هذا النوع من الاستعارة الذهنية التي تعكس التجربة الإنسانية، وتهدف إلى بناء أسسه الحجاجية والإقناعية.

1. المفاتيح المفهومية

1.1. مفهوم الاستعارة التصورية

يعتبر النموذج المعرفي التجريبي التصوري الذي ينتمي إلى اللسانيات المعرفية التأسيسية، نظرة جديدة إلى الاستعارة، وذلك لاختلافها عن النظرية الاستبدالية الكلاسيكية. الموروثة عن أرسطو.

يرى المؤلفان لايكوف وجونسون أن الاستعارة التصورية هي: " آلية جوهرية في حصول الفهم البشري، كما تشكل آلية لخلق دلالات جديدة وحقائق جديدة في حياتنا"[1]. يتضح لنا من قول المؤلفين أن الانشغال بالمعنى والفهم هو أبرز أسباب الاهتمام بالاستعارة، وذلك بإعادة الاستعارة إلى الذهن وجعلها مهيمنة على التفكير –كونها آلية ذهنية-من خلال هيمنتها على النسق التصوري البشري، وذلك باعتبار جل أفكارنا وسلوكاتنا استعارية بامتياز.

[1] -جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص:189.

يقول عبد العالي العامري " تعد نظرية الاستعارة التصورية المقدمة في عمل جورج لايكوف 1993 عملا متطورا داخل اللسانيات المعرفية، إذ تشكل مقاربة لتنظيم التصورات وبنائها، والتي سبق وأن نوقشت بشكل كبير داخل العلوم المعرفية بشكل عام إلا أن الفكرة المحورية التي تتأسس عليها النظرية تقوم على بناء مجال معرفي له طبيعة استعارية في علاقته بمجال فضائي له استعمال عاد"[1]. يبين العامري عبد العالي أن نظرية الاستعارة تروم إلى تبيان كيفية بناء التصورات التي يبنى عليها فكر الإنسان ككل. انطلاقا من العالم الخارجي.

وهذا ما يقودنا إلى تبني تعريف محمد صالح البوعمراني الذي يشير إلى أن الاستعارة" عملية فهم لميدان تصوري عن طريق ميدان تصوري اخر حيث يمكن إيجازها كالتالي هو الميدان التصوري (أ) هو الميدان التصوري (ب)، وذلك مثل فهم الحياة عن طريق الرحلة، والجدال عن طريق الحرب، و الحب عن طريق النار. حيث يسمى الميدان الأول هدفا والميدان الثاني مصدرا "[2].

يتضح مما سبق، أن الاستعارة التصورية تقوم على مجالين المجال المصدر والمجال الهدف، ولا يتم فهم المجال الهدف إلا بفهم المجال المصدر الذي تكونت لدينا معرفة مسبقة عنه بواسطة مجموعة من التوافقات بين المجالين (المصدر والهدف). لما يقومان به من دور هام في فهم المجردات انطلاقا من المحسوسات. وعليه، نستنتج من خلال هذه التعريفات. أن الاستعارة التصورية عبارة تقوم على فهم مجال تصوري من خلال مجال تصوري آخر، يتحقق هذا الفهم بملاحظة مجموعة من الترابطات والتوافقات النسقية بين المجالين.

لقد كان من الضروري إرجاع الاستعارة إلى مكانتها الحقيقية، وإلى أصلها الطبيعي، إلى الذهن، حيث المعنى والفكر والمعرفة والفهم، وذلك بالتأكيد على أنها ليست بظاهرة لغوية –كما تبين سابقا- وإنما هي ذهنية تصورية ترتبط ارتباطا وثيقا بالقدرات الذهنية، باعتبارها جزءا من الذهن وآلية من آلياته التي يشتغل بها.

2. خصائص الاستعارة التصورية و أنواعها:

2.2. الخصائص اللغوية

يعتبر مفهوم "الاستعارة التصورية (Conceptual Metaphor) "الذي طرحه جورج لايكوف ومارك جونسون من المفاهيم الرائدة في مجال الدراسات اللغوية والمعرفية. قُدِّمت هذه النظرية

[1] - العامري عبد العالي، التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية، ص: 128

[2] - البوعمراني محمد صالح، دراسة نظرية وتطبيقية لعلم الدلالة العرفاني، ص:124.

كدحض للفكرة التقليدية التي ترى أن الاستعارة مجرد زخرفة لغوية تستخدم لتحسين جمالية الكلام. بدلاً من ذلك، اقترح لايكوف وجونسون في كتابهما (1980) "Metaphors We Live By" أن الاستعارة هي أداة معرفية أساسية تعكس كيفية تنظيمنا للعالم في أذهاننا .

يرى هؤلاء الباحثون أن:

- الاستعارات ليست مجرد تعبيرات لفظية، بل هي بنيات ذهنية تعكس الطريقة التي يتم بها فهم الأفكار المجردة من خلال الإسقاط الذهني، حيث يُنظر إلى الاستعارة كوسيلة لتصور المفاهيم وتنظيم التجربة الإنسانية بشكل تصوري.

- الاستعارة ليست أداة لغوية تزيد في المعنى فحسب، وإنما هي ظاهرة ذهنية قبل أن تكون لغوية، فهي مرتبطة بالذهن أكثر من اللغة، حاضرة في كل مجالات الحياة باعتبارها ليست مقتصرة على اللغة فحسب، بل موجودة في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها[1].

إضافة إلى اعتبارها مسألة الفكر وآلية من آلياته في بناء المعنى وليست لغة فقط كما تنظر إليها النظريات الكلاسكية، باعتبارها أداة تصورية مفهمة وتمثيل يعم كل مظاهر ها[2] .

- الاستعارة التصورية عبارة عن مظهر ثقافي تجريبي تتأثر به اللغة كما تتأثر بها سلوكيات وتصرفات الفرد، و ليست مظهرا لغويا محضا .

3.2. الخصائص المعرفية

للاستعارة التصورية خصائص معرفية، جعلتها نظرية علمية دقيقة ذات أسس معرفية، منها:

- الاستعارة التصورية تقوم على إسقاط مجال المصدر على مجال آخر يسمى الهدف ويكون المجالان غالبا من التجربة، قصد بناء المعنى و تحقيق الفهم، مثال: قتلني الحُب، وهي عبارة متواترة بين الأفراد خاصة في مجتمعنا تقوم على مجالين، مجال المصدر (القتل) ومجال الهدف المعنوي المجرد (الحب)، تربطهما تناسبات وترابطات حسب تجربة المتكلم، بحيث إن القتل قد يتغير إن كانت تجربة الفرد مع الكيان جميلة. ويجمل لايكوف ذلك في ما يسميه إسقاط المعارف المتعلقة

[1] - جورج لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 21.

[2] -الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفانية، ص: 142.

بالمجال المصدر على المعارف المتعلقة بالمجال الهدف تربطهما تناسبات إبستيمية[1]، و لتوضيح هذا، نستحضر مثالا آخر متداولا في الدراجة المغربية "دغيا كيدوز الوقت" وفي النسق المعيار "يمر الوقت بسرعة"، تقوم العبارة على تمثل مجال الزمن على أساس مجال الإنسان، فيكون تجليا من تجليات استعارة (الزمن إنسان) فالمجال المصدر هو الإنسان و مجال الهدف هو الزمن، مبنيان على تناسبات تربطهما جزئيا من قبيل: أن سرعة كبر سن الإنسان شبيهة بسرعة الزمن البراقة.

- تضفي الاستعارة على تفكيرنا صبغة تصورية مجازية في الأساس، لما تحتل من مكانة أثناء حديثنا اليومي، باعتبارها آلية جوهرية في فهمنا لتجربتنا دون وعي منّا، فهي مرتبطة بالنسق التصوري الذي يعد استعاريا بطبيعته على حد تعبير لايكو، موافقا للتجربة الحياتية.

- تعبر الاستعارة التصورية عن تصوراتنا الذهنية، وترتبط بالتجارب الحياتية التي تتعلق بالنظم الثقافية. فهي وسيلة معرفية تسهم في تشكيل الواقع وتغييره من خلال عملية الإقناع التي تمارسها.

بناء على هذا، فإن الاستعارة حاولت أن تنحى منحى جديدا مع كل من جورج لايكوف ومارك جونسون، محدثة قطيعة مع اللغة التزينية التجميلية، حاملة لواء التصورات المنبثقة من التجربة والمبثوثة في الاستعمالات اليومية دون إدراك منا، وعليه. فإننا نتفق في إحداث القطيعة مع الاستعارة القديمة لما تقيد به الدارس من قواعد وضوابط، وهي في الحقيقة أبسط من ذلك.

3.4.2. أنواع الاستعارة التصورية:

1.3.4.2 الاستعارة البنيوية

تندرج الاستعارة البنيوية كباقي الاستعارات الأخرى (الاتجاهية، الانطلوجية) ضمن الاستعارات الوضعية على حد قول جورج لايكوف ومارك جونسون بأن "الاستعارات الوضعية من اتجاهية وبنيوية وانطولوجية كما نجدها في هذا الكتاب عبارة حقائق مثبتة في نسقنا التصوري تجعلنا ندرك العالم من حولنا ونمارس فيه تجاربنا بشكل استعاري"[2] .

[1] - المرجع نفسه، ص: 144.

[2] - جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص:12.

تقوم الاستعارة الوضعية حسب الباحثين على الربط الاستعاري انطلاقا من حضورها الدائم في حديثنا اليومي بعيدة كل البعد عن أي قصد إبداعي تزييني تخييلي يفقدها خاصيتها الأسمى.

يشير جورج لايكوف ومارك جونسون أن الاستعارة البنيوية تعني "أن تبنين تصورا ما استعاريا بواسطة تصور آخر"[1] .

يقصد بنينة تصور نسقي استعاري عن طريق تصور المجالين المصدر والهدف. فالاستعارة البنيوية مجالها التصورات التي أساسها الذهن والفكر وليس الألفاظ والتراكيب، قصد إقامة تصور المجال الهدف من المجال المصدر الأقل تجريدا الذي يكون معلوما.

كما يؤكد جورج لايكوف بأ الاستعارة البنيوية " تتأسس شأنها شأن الاستعارات الانطلوجية والاتجاهية على ترابطات نسقية داخل تجربتنا... استعارة الجدال العقلي حرب تسمح هذه الاستعارة بإقامة تصور لما هو الجدال العقلي بالاستعانة بشيء نفهمه بسهولة أكبر، وهو الصراع الفزيائي"[2] .

تساعد الاستعارة البنيوية - حسب لايكوف - على إظهار بعض مظاهر التجربة المنسجمة مع بعضها، بغية تنظيم النسق التصوري. والتي تكمن أهميتها في المعايشة ببناء تصوراتنا عن مجال ما من خلال مجال آخر فنحيا بالثاني على حساب الأول.

نمثل لشرح الاستعارة البنيوية بالمثال الذي قدمه لايكوف "الجدال حرب" فالتصور الاستعاري للجدال حرب يتجلى في عدة تعابير، أبرزها:

- دعني أدافع عن حجتي؛
- لقد هاجم نقاط الضعف في حجتي؛
- هزمني بحججه القوية.

يتضح أن كل العبارات اللغوية تفصح عن استعارة الجدال (خطاب لغوي) حرب (صراع مسلح)، ولولا معرفتنا ودرايتنا بالصراع الفزيائي لما استطعنا قول هذا عن طريق بنينة التصور ما

[1] - المرجع نفسه، ص:45.

[2] - المرجع نفسه، ص: 81.

(الجدال) في ضوء تصور آخر (الحرب). الذي من خلاله يعتبر الشخص المتجادل عدوا لنا فنهاجم مواقفه وندافع عن مواقفنا وننتصر أو ننهزم

4.2. الاستعارة الاتجاهية

تعد الاستعارة الاتجاهية واحدة من الاستعارات الوضعية التي لها حضور وازن في حياتنا اليومية، استنادا إلى الاتجاهات الفضائية المعلومة.

يقول جورج لايكوف ومارك جونسون" ... وسنسمي هذا النوع بالاستعارات الاتجاهية إذ إن أغلبها يرتبط بالاتجاه الفضائي عال مستفل- داخل خارج – أمام وراء – فوق تحت – عميق سطحي – مركزي هامشي وتنبع هذه الاتجاهات الفضائية من كون أجسادنا لها هذا الشكل الذي عليه و كونها تشتغل بهذا الشكل الذي تشتغل في محيطنا الفزيائي و هذه الاستعارات الاتجاهية تعطي للتصورات توجها فضائيا كما في التصور التالي السعادة فوق فكون السعادة موجها إلى الاعلى هو الذي يبرر وجود تعابير من قبيل (أحس أنني اليوم في القمة) "[1].

يبين كل من جورج لايكوف ومارك جونسون أن الاستعارة الاتجاهية تلك التي لها علاقة بالاتجاهات الفضائية، استنادا إلى العلاقات الفضائية بحكم أن الجسد هو الذي يحدد لنا الفضاء الذي نوجد في (أمام . . .. خلف . . .).

يذكر عبد الاله سليم أن " الملاحظ أن الاستعارة الاتجاهية القائمة على الثنائية فوق / تحت لا تقوم فقط بترتيب كلامنا ومنحه المرونة الضرورية، بل تقوم كذلك بتنظيم أعمالنا ومعتقداتنا فالموتى مثلا يدفنون تحت وتصعد أرواحهم فوق . . .، لذلك تتعدى الاستعارة اللغة إلى مجال أوسع هو الفكر الذي يتحكم في لغتنا وأعمالنا "[2] .

ينحاز التعريف إلى أن الاستعارة الاتجاهية ننظم بها أعمالنا، فالشخص الناجح دائما يكون فوق بينما الفاشل يكون تحت، إضافة إلى معتقداتنا بحيث تصبح مثلا الحياة الدنيوية عند أغلبية الشرائح تحت والحياة الأخروية فوق، متجلية في التعابير الاستعارية.

نمثل لهذه الاستعارات من خلال استعارة السعادة فوق / الحزن تحت، انطلاقا من التعابير اللغوية التالية:

[1] - المرجع نفسه، ص: 33.

[2] - سليم عبد الاله، بنيات المشابهة في البلاغة العربية مقاربة معرفية، ص: 71.

- السعادة فوق:

- طرت فرحا اليوم.

- معنوياتي مرتفعة اليوم.

- قفزت فرحا.

- الحزن تحت:

- اليوم أنا محبط.

- معنوياتي هابطة اليوم.

- سقط محمد باكيا.

يتبين أن التعابير الاستعارية أعلاه، مبنية على أساس اتجاه فضائي من خلال مجال أكثر تجريدا، نظرا لعلاقاتنا الوطيدة بالاتجاهات الفضائية التي تبين دور الذهن المتجسد وكائنيته في الجسد[1] .

وبالتالي، فبالرغم من أن هذه الاستعارات ذات التوجه الفضائي في كل الثقافات إلا أنها تختلف من ثقافة إلى أخرى، فالمستقبل مثلا يكون أمامنا وفي ثقافة أخرى يكون خلفنا ناهيك عن اليمين والشمال ففي الثقافة الإسلامية يتم تقديم اليمين عن اليسار لحمولته الدينية، على عكس الثقافة الغربية التي تساوى فيها الاتجاهان، مما يعطي للتصورات توجها فضائيا.

1.4.2. الاستعارة الوجودية

اعتبر جورج لايكوف ومارك جونسون الاستعارة الأنطولوجية من بين الاستعارات الوضعية، الشائعة في استعمالنا اليومي وهي ضرورية لفهم الأشياء المجردة، والتعايش مع الفكر.

[1] - يعني أن العلاقات الفضائية تعتبر جزءا منا باعتبارها تحدد الفضاء الذي نجلس فيه، فهي حسب جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما الفلسفة في الجسد من أبرز الحجج التي تفند حرفية اللغة وتبين استعاريتها، نظرا للترابط الجسد مع الذهن، هذا الأخير الذي ينبع من الجسد و على أساسه يفهم الواقع في علاقة مع الأنساق الإدراكية الحسية، التي تشكل النسق التصوري. فمثلا الألوان لا توجد في الواقع إنما الدماغ هو من يصنعها عبر عمليات كهرمغناطسية استنادا إلى نسقنا البصري.

يشير جورج لايكوف ومارك جونسون أننا " نستخدم الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث والأعمال والأنشطة، والحالات. إننا نتصور الأحداث والأعمال استعاريا باعتبارها أشياء، والأنشطة باعتبارها مواد، والحالات باعتبارها أوعية "[1].

يُفهم من التعريف السابق أن تجربتنا مع الأشياء تعطينا أساسا إضافيا للفهم من خلال تفاعل أجسادنا معها، انطلاقا من النظر للأفكار المجردة (الانفعالات...) على أنها أشياء مادية تعطينا تصورا.

وقولهما في الصدد نفسه: " الاستعارة طبيعية ودائمة في فكرنا إلى درجة أننا نتعامل معها في العادة كمنبهات، كما نعتبرها أوصافا مباشرة للظواهر الذهنية، لا يخطر ببال جلنا أن الأمر يتعلق بثورات استعارية "[2] .

باعتبارها جلية وواضحة في الفكر، تصف المحسوسات (عالم الأفكار)، استنادا إلى الأشياء المادية ندركها، قصد إنتاج تصور نسقي عن طريق الترابطات المعرفية، تكمن قيمتها في التجسيد والفهم.

ويقّسم لايكوف ومارك جونسون الاستعارة الوجودية إلى ثلاثة أقسام، هي:

- استعارة التّشخيص

يعرفها جورج لايكوف ومارك جونسون بأنها "مقولة عامة تغطي عددا كبيرا ومتنوعا من الاستعارات، حيث تنتقي كل منها مظاهر مختلفة لشخص ما أو طرقا مختلفة للنظر إليه"[3] .

يفيد تعريف لايكوف وجونسون أن الاستعارة التشخيصية هي استخدام صفة من الصفات البشرية التي تميز الشخص وإسنادها إلى الظواهر المحسوسة والمعنوية، بغية إعطاء صورة لها، وكثيرة هي في استعمالنا اليومي مع بعضنا البعض كقولنا مثلا لا حصرا: "الحب صعب". فصفة الصعوبة يمتاز بها الشخص (نحن) لكنها وُصف بها الحب استعارة لإعطاء تصور بهم فئة قد ترى " الحب راحة ".

[1] - جورج لايكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 47.
[2] - المرجع نفسه، ص: 50.
[3] - المرجع نفسه، ص:30.

- استعارة الكيان والمادة

تعد الكيانات والمواد من أبرز ما يتصور استعاريا لدينا، استنادا إلى تجربتنا وبخاصة أجسادنا.

يرى جورج لايكوف ومارك جونسون أن " فهم تجاربنا عن طريق الأشياء والمواد يسمح لنا باختيار عناصر تجربتنا ومعالجتها باعتبارها كيانات معزولة، أو باعتبارها مواد من نوع آخر "[1].

تعطي استعارة الكيان والمادة حسب الباحثين أساسا إضافيا للفهم حيث يصبح بالوسع الإحالة بمثل" إننا نعمل من أجل الفرح" والتكميم بمثل" التمسوا لي عذرا " . . .

- استعارة الوعاء

يشير جورج لايكوف ومارك جونسون إلى "نستخدم الاستعارات الأنطولوجية لفهم الأحداث، والأعمال، والأنشطة والحالات.....، باعتبارها أوعية، فالسباق مثلا: ... يتم في مكان وزمان، وله حدود جد مضبوطة، ولهذا ننظر إليه شيئا وعاء يوجد فيه المتسابقون (وهم الأشياء)"[2].

وهذا يعني أن الاستعارة الوعاء تسعى إلى جعل الأشياء الفزيائية كأنها في وعاء، نظرا لما نعرفه في تجربتنا فالجسد يمتلك هذه الخاصية خارج – داخل مثل قول أحدنا لشخص " أنا في الخيمة " فنسقطها على الأشياء باعتبارها أوعية. كقولنا مثلا: " نحن في السباق " أو " في السباق متبارون أقوياء ". فالسباق نشاط لكن يفهم في تجربتنا باعتباره وعاء.

ومنه. فالاستعارة الوعائية ما هي إلا انعكاس لذلك التفاعل القائم بين وجودنا الفزيائي في العالم، وبين نظرتنا لما يحيط بنا ويفعل فينا، سواء تعلق الأمر بكيانات أو بالأنشطة.

- استعارة الرؤية

تعتبر استعارة الرؤية اجتهادا شخصيا، جاء نتيجة تمعن وتفحص في التعابير الاستعارية التي ساقها جورج لايكوف و مارك جونسون3، وهي المتجلية في استعمالنا اليومي دون وعي منا،

[1] - المرجع نفسه، ص: 45.

[2] - المرجع نفسه، ص:32.

[3]- Lakoff, G. & Johnson, M. (1980) **the metaphors we live by**, university of chicago press, 2003.

فالمجاز هو رؤية شيئ من خلال شيئ آخر، أي إنك لا يمكن أن ترى شيئا إلا بنسبته إلى شيء آخر، والشيء الآخر لا يمكنه أن يريك إلا جانبا واحدا، فهو ليس مطلقا بل محدودا[1].

نشير إلى أن استعارة الرؤية جاءت بناء على ما درسه الباحثان لايكوف ومارك جونسون، بحيث ترى أن هناك تعابير استعارية تتواتر في الاستعمال، ومصدرها نتاجها نسقين حسيين نسق بصري ونسق سمعي، غير مبنية على نسق واحد كما هو معتاد مع الباحثين في الأمثلة الإنجليزية.

تقوم الاستعارة على تعابير تستعمل بصورة نسقية للحديث عن (الصوت) عن طريق الرؤية، إذ إن المستلزم الاستعاري فيها لا يتغير (رأى)، وبحكم أن الصوت جزء منا، فإننا لا نعي كيف نستعمله استعاريا في كلامنا.

نعزز ما تم ذكره بمثال متداول في استعمالنا اللغوي: شَفْتْ صُوتُو نْقِي لْيُومْ، [من الدارجة المغربية، والمقصود بلفظ شفت رأيت، ترجمتها حرفيا: رأيت صوته نقيا اليوم]، بمعنى أنه لم يصدر منه ما لا يناسب المقام والمقال...، آخذا إياه بالجد لا الهزل. فالملاحظ أنه في التعبير الاستعاري يُمثل استعارة (الصوت شيء نراه) ونسمعه كما هو معلوم، مما يسمح لنا بوصفه وتلوينه، فتكون العبارة منسوجة على نسق سمعي في سماع نقاوة الكلام، ونسق بصري في رؤية الصوت باعتباره مادة في ثقافتنا، كأننا نسمعه بأعيننا، قصد إعطاء أساس إضافي للفهم.

ولتأكيد **استعارة الصوت** مادة نمثل لها بالتعابير التالية:

- الصوت شيء نراه[2] :

- رأيت صوتك تغير.

- أرى هذا الضجيج مبالغ فيه.

- أرى أن صوتك اليوم حنين.

---

[1]-علي أحمد الديري، مجازات بها نرى كيف نفكر بالمجاز، ص: 13.

[2]- العبارات الأصلية بالدارجة المغربية: [كنشُوفْ صَوْتكْ تبدَّلْ] – [شَفْتْ هاد الصْدَاع زَاد على حَدُّو] – [كنشُوفْ صَوتكْ ليومْ حْنِينْ] –

[هْدَرْتَكْ ليُومَا شفت فيها شِي حَاجَا زْوِينا، دْويتِي كمَا كيدْوِيو نآسْ لْقدَامْ].

- استعارة الرؤية هي استعارة لم تلق بالغ العناية من لدن لايكوف وآخرين، وهذا ليس نقصا مما جاءوا به، لأنهم هم من فرشوا لنا أرضية البحث و الغوص في الأسس العلمية. وهو مايرجع إلى عدم وجود تعابير استعارية من هذا القبيل في ثقافة المجتمع الأمريكي، تنتج استنادا إلى نسقين حسيين.

- كلامك اليوم رأيت فيه شيئا جميلا، تحدثت كما يتحدث القدماء.

نلاحظ من خلال الأمثلة أعلاه، أنها حاملة كلها لمستلزم استعاري واحد (رأى) وهو من يخصص نسقا منسجما من التصورات والعبارات الاستعارية، باعتبار أن الصوت شيء يسمع ويرى في الآن نفسه، تسند له أوصاف عدة تلبسه معنى. فمثلا عبارة "أرى صوتك اليوم حنين" تفصح عن استعارة **"الصوت مادة "** بحيث يمكن فهم مجال الهدف (الصوت) في ضوء المجال المصدر (مرئي) من خلال النظر إلى المجرد على أساس أنه مادة، حامل للخاصيتين خاصية السمع المعلومة والرؤية المستعارة، اللتان يتم الاعتماد في تصورهما على نسقين حسّيين (السمعي والبصري).

نضيف أن صفة (الحنان) تعد صفة تلازم الإنسان فقط، وينفرد بها عن باقي الحيوانات، الذي يعرف كيف يتعامل بها لأن الحنان فيه درجات حسب سجية كل شخص، وبعدما خرجت عن توظيفها العادي وتم اسنادها للصوت المجرد اللاشعوري شُخِّص كأننا أمام رؤية إنسان داخل إنسان.

3. مفهوم الخطاب السياسي:

أ. المفهوم اللغوي:

جاء في معجم "لسان العرب" لابن منظور (ت 711ه)، حول مفهوم الخطاب: "الخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، ... خطبت على المنبر خطبة..."[1]. يُفهم من التعريف اللغوي السابق؛ أن الخطاب هو الكلام المنقول إلى غير المشافهة، بمعنى آخر، الخطاب هو متواليات لغوية تصدر من متكلم قصد إبلاغها لمخاطب ما.

أما أبو البقاء الكفوي (1094ه) فيرى أن الخطاب هو: " اللفظ المتواضع عليه المقصود به إفهام من هو متهيئ لفهمه"[2]. يعني ذلك أن الخطاب قول لغوي موجه إلى متلق لإفهامه رسالة مقصودة ومعينة، شريطة قدرة المتكلم على الإفهام.

يرى أنطوان إلياس أن الخطاب "مصطلح ألسني حديث في الفرنسية يعني (حديث، محاضرة، خطاب، حادث، حاضر، ألقى محاضرة، وتحدث إلى)"[3] .

[1] -ابن منظور (ت 711ه)، لسان العرب، د، ت، ص : 1194.

[2] -أبو البقاء الكفوي (1094ه)، الكليات، ص: 419.

[3] -إلياس أنطوان إلياس، قاموس إلياس العصري، ص: 191.

أما معجم أكفسورد المختصر، فيعرف الخطاب بأنه عملية الفهم التي تمر بنا من المقدمة إلى النتيجة، وعملية الاتصال عبر الكلام أو المحادثة، والقدرة على المناقشة. فالخطاب هو السرد، أي تناول أو معالجة مكتوبة، أو منطوقة لموضوع طويل مثل بحث أو موعظة أو ما شبه ذلك، وهو أيضا الاتصال المألوف(المحادثة). وأن من يقوم بالخطاب؛ أي المخاطِب، هو الذي يتحدث ويناقش مسألة ما، ويتحدث مع شخص آخر (مخاطَب)[1]. ينحو معجم أكسفورد نَحْو أنطوان إلياس في تعريفه للخطاب، وذلك باعتبار الخطاب كلاما ومحادثة يحملان مواضيع تُنقل من مخاطِب إلى مخاطَب.

إن الخطاب في معناه الاصطلاحي يحمل دلالات كثيرة، ودليل ذلك ما تمت الإشارة إليه.

ويشير هاريس في هذا الصدد إلى أن الخطاب ملفوظ طويل، أو هو متتالية من الجمل تتكون من مجموعة منغلقة، يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر بواسطة المنهجية التوزيعية، وبشكل يجعلنا ندور في مجال لسانياته التوزيعية[2]. يعني ذلك أن الخطاب قد يكون منطوقا وقد يكون مكتوبا، فهو جملة واحدة أو متوالية من الجمل يستعملها المخاطب في مقام معين قصد إبلاغ المخاطَب رسالة ما، من أجل تحقيق الإخبارية والقصدية.

يعزز تعريف هاريس ما قاله جاكبسون لما شار إلى أن الخطاب هو: "نص تغلبت فيه الوظيفة الشعرية للكلام، وحاصل قوله، قيام التسوية بينهما على توافر المد الشعري في أحدهما، والمتزامن ضرورة مع وظائف لغوية أخرى، ترتبط بعناصر، بما يسبغ عليه الصفة اللسانية"[3]. ومنه فأن الخطاب هو النص الملفوظ _حسب جاكبسون_ الذي يتجاوز حدود الجملة المفردة متقاطعا في ذلك، مع كل من همسليف، وهاريس، وبنفنيست.

ب. المفهوم الاصطلاحي

يعتبر الخطاب السياسي خطابا إقناعيا وحجاجيا، يتخذ من اللغة، والسياسية فضاء له، فهو خطاب ميزته الأساسية ارتباطه بالسياسية، ارتباطا وثيقا، به نصارع، ونمارس السلطة بشتى أنواعها.

---

[1] -William، L, THE shorter oxford english dictionary on historical principles, p563.

[2] -نقلا عن نور الدين السد، الأسلوبية وتحليل الخطاب –دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، ص: 18.

[3] -نقلا عن المرجع نفسه، ص:11.

يعرف فان دايك الخطاب السياسي بأنه " فعل سياسي ووعاء لعملية السياسة"[1]. يتضح لنا من تعريف فان دايك أن الخطاب السياسي هو الممارسة السياسية للفعل السياسي الذي يؤطر العملية السياسية، فهو يقيد التعريف باعتبار الخطاب السياسي لابد أن يتم انخراطه في عملية سياسية، وما عدا ذلك فليس خطابا سياسيا، بقوله: "حالما يوظف الخطاب أو جزء منه في العملية السياسية ينبغي اعتباره سياسيا وتحليله بأنه كذلك "[2].

أما بول شيلتون وكريستينا شافنر فيعرفان الخطاب السياسي بأنه: "كل فعل يتضمن السلطة أو نقيضها أي المقاومة"[3]. يعني تعريف الباحثين أن الخطاب السياسي هو الذي تكون غاية الصراع من أجل السلطة ومقاومتها، مقترحين بعض الوظائف الاستراتيجية التي تميز الخطاب السياسي عن باقي الخطابات الأخرى؛ من قبيل: وظيفة الإجبار، ووظيفة المقاومة، ووظيفة الإخفاء، ووظيفة إضفاء الشرعية أو نزعها.

إن الخطاب السياسي يختلف عن باقي الخطابات الأخرى، ليس من حيث البناء اللغوي، أو الأسلوبي، بل من حيث طبيعة لغته التواصلية، التي تبحث عن متلق متمرس حتي يفك شفرتها، ما يعني أن اللغة السياسية رغم أنها تواصلية تعتمد على الوضوح و الإفهام، والإقناع، والتأثير في المتلقي، إلا أنها تحتاج إلى تأمل لما يتسم به الخطاب السياسي من إيحاءات وغموض، وتلاعبات لغوية من خلال اللجوء إلى الاستعارة وغيرها من الوجوه البيانية.

ومنه؛ فإن لفظ الخطاب السياسي يطلق عادة على خطاب السلطة الحاكمة أو الحركات والأحزاب، التي تحمل برامج سياسية، موجه لتحقيق مقصد سياسي ليؤثر في المتلقي وإقناعه، ويحمل هذه الخطاب أجندة سياسية، يسعى المرسل لترسيخها، عبر اعتماد الرموز والدلالات لتحقيق الغايات والمصالح.

1.3. مرتكزات الخطاب السياسي

يرتكز الخطاب السياسي أثناء انخراطه في العملية السياسية على مرتكزات عدة تجعله يملك سلطة أقوى على المتلق، وتأثيرا أكبر؛ نذكر بعضها فيما يلي[4] :

[1] -نقلا عن سعيد بكار، خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب: مقاربة نقدية للخطاب السياسي. ص: 195.

[2] -نقلا عن المرجع نفسه. ص: 195.

[3] -نقلا عن المرجع نفسه، ص: 194.

[4] -راضية بوبكري، الخطاب السياسي، أصوله النظرية والمنهجية وأبعاده الإنسانية، ص: 176-177.

-**الوضوح**، هذه السمة التي تكاد تكون الأبرز في جل الخطابات السياسية.

-**الإقناع عن قصد ونية**، فالخطاب السياسي موجه إلى هذا الغرض تحديدا، أي تحقيق وجهة نظر صاحبه، وبسطها، ولأجل ذلك يعمد الخطاب السياسي إلى الأسلوب المباشر، حتى يصل إلى أكبر قدر من الجمهور من الأجل الإقناع والتأثر.

-**إبراز الذات المتكلمة**، بصورة موضوعية، يغلب عليها طابع الجماعية، حيث تحاول هذه الذات خلق أرضية مشتركة بينها وبين المتلقي. يتضح ذلك، من المفاهيم التالية: الشعب/ الأمة/ الوطن . . .

-**الو اقعية**، من خلال توظيف اللغة اليومية، لما تحمله من إيحائية، وأبعاد براغماتية للتفاعل مع ما يعيشه الفرد في المجتمع، وذلك باستعمال لغة اجتماعية معاصرة متداولة.

-**صنع القرارات** الفاعلة في المجتمع، وهو ما يبرز ارتباط الخطاب السياسي بالظروف والأحداث السائدة على مستوى الواقع.

-**التأثير في المتلقي**، لكون الخطاب السياسي من أهم الخطابات المعاصرة انتشارا بين الأوساط الشعبية ومختلف شرائح المجتمع، لادعائه بمعالجة المشاكل والقضايا الداخلية والخارجية، التي يتطلع كل فرد إلى معالجتها.

-**التغيير**، لاحتوائه على قيم غير ثابتة، لأنه وليد الظروف، والمتغيرات الاجتماعية والسياسية.

-**التناص**، تتعدد النصوص التي تبني الخطاب السياسي، بتعدد الوظائف التي يؤديها، وتعدد انفعالات الخطاب وأزمنته.

إن الاستعمار العدائي الذي عرفته بعض الشعوب لفترة طويلة من الزمن.. استدعى أن يكون من بين أهل البلاغة، والبيان فيها من يوقظ الحمية، ويثير العزائم، ويحيي الآمال، فوُجدت خطب سياسية دافعة إلى الحياة الحرَّة.. والدليل على ذلك ما تعيشه فلسطين الأبية من استعمار ودمار وقتل ظالم، دفع المقاومة الفلسطينية الحرة إلى إنتاج خطب سياسية تجاه الاحتلال الصهيوني الغاشم.

2.3. خصوصيات الخطاب السياسي الفلسطيني الإسرائيلي

يعتبر الخطاب السياسي الفلسطيني الإسرائيلي من الخطابات الراهنة التي عرفت انتشارا واسعا على المستوى الإعلامي، وذلك لما عرفته فلسطين من انتفاضة في وجه الكيان الغاصب، فكان الخطاب جزءا يكمّل الصراع الواقعي، بواسطته يتم التواصل السياسي بين الطرفين، تمريرا لرسائل عديدة. ويستوجب الحديث عن الخطاب الفلسطيني والإسرائيلي الوقوف عند أبرز خصوصياته ومميزاته، نذكر منها[1]:

- **الاتصال مع الجميع:** تتصل المقاومة مع مختلف الأطراف الدولية بغض النظر عن خلفياتها السياسية والفكرية بما يخدم مصالح الشعب الفلسطيني وقضيته وحقوقه.

- **التمسك بالثوابت:** لا تقدم المقاومة أية التزامات تتعارض مع ثوابتها الإسلامية والوطنية لقاء تلك العلاقات.

- **إزالة الاحتلال:** ترحيب المقاومة بالجهود الدولية لإزالة الاحتلال ورفع ظلمه وتسلطه عن الشعب الفلسطيني والحد من إجراءاته القمعية.

- **الاقتناع** بأن معركة فلسطين، هي معركة إنسانية ضد الظلم والطغيان الإسرائيلي، وضد المشروع الصهيوني العنصري، الذي يستهدف العالم والإنسانية بأسرها، ويهدد مصالح الشعوب والأمم، ولا يقتصر شره على فلسطين والعرب والمسلمين فحسب.

- **كشف حقيقة:** إبراز أن الكيان الصهيوني عبر التصريح بالجرائم والمجازر المقترفة في حق الفلسطنيين .

- **عدم فسح المجال** من لدن المقاومة الفلسطينية للكيان الصهيوني ليكون حكرا على الخطابات السياسية، تجنبا لتمويهاته وأكاذيبه المشوهة لصورة الإسلام.

أما فيم يخص الخطاب السياسي الإسرائيلي فإنه يتميز من خلال اطلاعنا البسيط بما يلي:

- رسم التصور الخاطئ وذلك بتحريف طبيعة الصراع بواسطة الخطاب، تعزيزا للرواية القائلة إن الفلسطينيين هم المعتدون والإسرائيليون هم الضحايا.

- إضفاء الشرعية وذلك بالتوكيد على السياسات الإسرائيلية منذ 1948 إلى الآن، كتهجير السكان،وبناء جدران الفصل، وهدم المنازل الفلسطينية، وبناء المستوطنات في الضفة الغربية...

[1]-سعيد بكار، خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب، مقاربة نقدية للخطاب السياسي، ص: 194-195.

- تشويه الموقف وذلك بتعزيز الصور النمطية التي تنزع الشرعية عن تطلعاته العادلة في التحرر من الاحتلال.

- بث كراهية تجاه الإسلام وذلك باحتلاق المشاعر المعادية للعرب في المجتمعات الغربية.

3.3. غايات الخطاب السياسي الفلسطيني الإسرائيلي:

يحمل الخطاب السياسي الفلسطيني تجاه الكيان الصهيوني مضامين عديدة توحي على الموقف الصرام للمقاومة الفلسطينية برؤيتها الصراع في المنطقة خرقا للقوانين الدولية والإنسانية، وحرصها على تحقيق السلام العادل على أساس تحرير دولة فلسطين، مع إمكانية تقديم هدنة طويلة.

يؤكد خالد مشعل أن: "على الأوروبيين أن يعلموا أن لا حل في المنطقة من خلال الاختباء وراء الشروط الأمريكية التعجيزية، وإنما الحل بإنصاف الشعب الفلسطيني ووضع حد للاحتلال الإسرائيلي. اليوم هناك فرصة العرب والفلسطينيون يقبلون بدولة على حدود السبعة والستين، فعلى أوروبا أن تقود المجتمع الدولي من أجل إنصاف الشعب الفلسطيني ووضع حد لهذا العدوان والاحتلال الإسرائيلي"[1].

يتضح من خلال النص السابق؛ أنه حامل لأهم الغايات من الصراع الخطابي بين الطرفين؛ وهي:

1.إعطاء صورة للمجتمع الدولي عن المقاومة الفلسطينية ومواقفها، في محاولة لإقناع الغرب أن المقاومة معتدلة.

2. إنصاف الشعب الفلسطيني على أساس تحرير دولة فلسطين، وبيان حقيقة الكيان الصهيوني الممثلة في جرائمه المرتكبة وأكاذيبه الواهمة.

3. تعويل المقاومة الفلسطينية على أن تلعب أوروبا دورا هاما في حل الصراع، وتحقيق المبغى المراد منذ سنين.

4.استغلال الخطاب لفضح الانتهاكات الإسرائيلية تجاه الفلسطينيين الأبرياء، وأكاذيبها المقدمة للرأي العام.

[1] -خالد مشعل، مقابلة مع موقع أخبار أوروبا، 11 حزيران 2008، (استرجعت بتاريخ 15 ايار 2010)
Arabic.euronews.net

إن الخطاب الإسرائيلي الموجه بدوره إلى الغرب حامل لغايات وأهداف، يسعى الكيان الصهيوني إلى تحقيقها من خلال الخطاب المعتمد، عبر إطلاق عبارات خطابية ذات دلالات عميقة. نبين بعضها:

1. ربط المقاومة الفلسطينية بداعش والنازية، لرفع ثوب المقاومة الشرعية عنها وإكسائها بعباءة الإرهاب، لاستساغة استهدافها لدى الجميع.

2. تشكيل تصورات لدى الجمهور الغربي؛ بتشبيه وزير الدفاع الإسرائيلي يوآف غالانت المدنيين والمقاومين بالحيوانات المتعطشة للدماء، مبررا بذلك قرار قطع الماء والكهرباء، والغذاء، والوقود عنهم.

3. السيطرة على وسائل الإعلام الغربية عبر نظرية الخطاب، وذلك نظرا للدور الذي يلعبه الخطاب السياسي للتأثير على المشاهد.

4. تبرئة الكيان الصهيوني نفسه من الجرائم المقترفة. يقول زعيم إسرائيلي: "في يوم السابع من أكتوبر تعرض مدنيون أبرياء لهجوم وحشي بربري على يد قوات حماس الإرهابية".

إن الخطاب نشاط تواصلي موجه إلى تحقيق هدف معين، لذلك فإنه يركز على الأفكار والمضامين، فتقل مادته اللفظية ويتسع المعنى الدلالي لتلك الألفاظ، فالمرسل يهتم بالفكرة ولا يعير الكثير من الاهتمام للألفاظ. إن الخطاب السياسي ذو دلالات محددة، تعكس الواقع السياسي الذي أنتج الخطاب، وهذا ما يجعله خطابا مهما في تشكيل الإيديولوجيا للدول والحركات السياسية، ويلعب أدوارا مختلفة، باختلاف الظروف والواقع، ويتأثر بالنسق السائد ليحاول إعادة إنتاج نفسه بما يتلاءم مع الظروف المحيطة به.

لقد كان وما يزال الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي من الخطابات الجديرة بالدراسة، وذلك لقدم ظهوره واستمراره إلى الآن، ولخصوصياته وغاياته المختلفة حسب الطرفين؛ المقاومة الفلسطينية الساعية إلى كشف الخبث والمجازر الصهيونية المرتكبة في حق الفلسطينيين الأحرار، والكيان الصهيوني مدعي المظلومية ومُوهم الرأي العام بخطاباته الكاذبة الحاملة للحس العنصري.

ومن منطلق ما تقدم، اخترنا الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي متنا للدراسة، محاولين تطبيق نظرية الاستعارة التصورية عليه، وذلك قصد كشف البنيات التصورية المُشكّلة للخطاب المدروس، مع بيان دور فاعلية الاستعارة باعتبارها آلية ذهنية في إيصال المعنى المراد.

4. الاستعارات التصورية في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي

لقد أصبحت الاستعارة في بعدها المعرفي عنصرا رئيسيا يستنجد به الوعاظ والشعراء..، وحتى الساسة قصد تشييد شبكاتهم المفهومية، وتأسيس تصورات تخدم مصلحتهم أكثر. وذلك بالنظر إلى كون الاستعارة آلية متجذرة في أذهننا وتجاربنا الحياتية، ولم تعد خاصية من خاصيّات الخطاب الأدبي فحسب، كما أكد ذلك جورج لايكوف ومارك جونسون.

إن التوجه المعرفي يعتبر اللغة ملكة ذهنية وإدراكية، فالاستعارة ليس مكانها اللغة فقط كما هو معلوم من ذي قبل في الأدبيات الكلاسيكية (عملية الاستبدال)، وإنما هي الطريقة التي نتصور بها مجالا ذهنيا ما من خلال مجال آخر عبر التجربة (الحواس)، وهو ما يسمح لنا بتأسيس أنظمتنا التصورية وفهم الأشياء والأنشطة.

لم تعد الاستعارة التصورية مقتصرة على الخطاب اليومي باعتباره فضاء تتمثل فيه بشكل أكبر، بل أصبحت كائنة حتى في الخطابات البراغماتية، مثل الخطاب السياسي الذي باتت فيه الاستعارات تعكس ثقافة الخطيب السياسية ومرجعياته الثقافية والإيديولوجية سواء عن قصد أو عن غير قصد، حتى أصبحت الاستعارة استراتيجية يوظفها الخطيب دون وعي منه أو بوعي منه لإيهام مخاطبه ومغالطته، وبناء خطابه على تصورات حوله قصد الإقناع والتأثير.

إن اعتبار الاستعارة وسيطا مهما بين الذهن البشري وما يحيط به، لكونها عملية تنظم لغتنا وفكرنا ونستطيع من خلالها بنينة تصور من خلال تصور آخر، وقد دفعنا لاختيار متنين من الخطاب السياسي؛ متن خاص بالخطاب الفلسطيني وآخر خاص بالخطاب الإسرائيلي، قصد تصنيف وجرد استعاراتهما التصورية والتي استعملت لأغراض مختلفة.

والنموذجان الخطابيان السياسيان اللذان سنقف عندهما هما خطاب رئيس المكتب السياسي لحركة حماس الفلسطينية، وخطاب رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو.

1.4. نماذج الخطاب السياسي:

أ. نموذج الخطاب السياسي الفلسطيني :

تؤكد خطابات المقاومة الفلسطينية بشكل صريح أو ضمني، أن العالم يجب أن يطالب الكيان الإسرائيلي بالاعتراف بدولة فلسطين، ويسمح للفلسطنيين بإقامتها؛ ومنه ففكرة المقاومة مازالت نصيب الأسد في خطاب المقاومة، هذه الأخيرة التي تعتبر الطريق نحو تحرير فلسطين لا يتم إلا بطرد الاحتلال عبر الجهاد.

يقول إسماعيل هنية:

"بسم الله الرحمان الرحيم الحمد الله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين إمام المجاهدين وقائد الغُر المحجنين، وعلى آله وصحبه أجمعين " إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما" سورة النساء، الآية: 104.

شعبنا الفلسطيني البطل أمتنا العربية والإسلامية يا أحرار العالم في غُرة رمضان سلام على غزة التي لا زالت ترسم لوحة الحرية والشرف لفلسطين بدماء أبنائها وبناتها، وتُسيج الأقصى بروح شبابها، ونسائها، ورجالها، وأطفالها، وخيامها، ونزوحها، وجوعها، السلام عليك يا غزة الوفية بحلم التحرير والوطن، الصامدة في وجه النازيين الصهاينة الذين يحاولون قتلك لكنك أصبحت مَهوى أفئدة الملايين الذين يهتفون لك في كل العواصم والميادين، ويلعنون عدوك الحاقد المجرم الذي يواصل جريمة القرن، والتي كتب فيها بيده شهادة وفاته كمحتل وسوف يحاسب عليها مهما طال الزمن أو قصر، ولازلت ياغزة تقفين صابرة محتسبة أمام المجازر والمذابح والتجويع والنزوح، وتقولين لهم إننا طلاب حرية، وطلاب كرامة، وطلاب وطن. يهِل علينا شهر رمضان المبارك في ظلال معركة طوفان الأقصى، وهي معركة فريدة ملهمة بكل أبعادها مما جعل يوم السابع من أكتوبر مِفصلا تاريخيا في عمر القضية الفلسطينية، وتحولا استراتيجيا في مسار الصراع مع العدو الصهيوني المحتل، فأعاد قضية فلسطين إلى صدراة المشهد العالمي بما يتناسب مع أبعادها، السياسية والإنسانية ومركزيتها المقدسة بعد أن حاولت القوة الاستعمارية ان تجعلها في طي النسيان، وهامش التاريخ، كما شكلت هذه المعركة متغيرا عميقا ومؤثرا مهما على الصعيدين الإقليمي والدولي.

يا أبناء شعبنا ويا أهلنا في غزة الأبية الصابرة ها هي المعركة تدخل شهرها السادس، وهذا الصمود الأسطوري، وهذه المقاومة الباسلة تقف شامخة كجبال فلسطين، تحركنا خلال هذه الشهور على جبهتين متلازمتين الأولى الجبهة الميدانية التي تقودها فصائل المقاومة، وفي مقدمتها كتائب القسام وهي تدافع عن شعبها في كل محاور القتال على كل شبر ، وفي كل شارع من شوارع قطاعنا الحبيب، وسنسجل صفحات مجيدة في تاريخ مقاومة هذا الشعب وانتفاضاته وثوراته المتتالية، وأما الجبهة الثانية فهي الجبهة السياسية وهذه جبهة واسعة تفتح على أكثر من صعيد، ولكني أريد هنا أن أركز على المفاوضات التي تجري بهدف التوصل إلى اتفاق لإنهاء الحرب الإجرامية على شعبنا، وأريد أن أوضح لشعبنا بشكل عام وأمتنا وأحرار العالم، ولكن لأهلنا في غزة أننا منذ بداية هذا المسار التفاوضي عبر الإخوة الوسطاء في قطر ومصر وضعنا ثلاثة ضوابط من أجل

أن نتوصل إلى اتفاق؛ الضابط الأول هو أننا نريد اتفاقا يفضي إلى إنهاء الحرب ووقف إطلاق النار، والضابط الثاني هو أننا نريد أن نترجم هذا الصمود الأسطوري وهذه البطولة، وهذه البسالة، وهذه التضحيات على إنجازات حقيقية لشعبنا على صعيد المعركة ذاتها، وعلى الصعيد الوطني والسياسي العام، والضابط الثالث هو أن نقطع الطريق على كل المخططات المشبوهة التي تستهدف غزة في بعدها الوطني والإداري والسياسي لما يطلق عليه اليوم التالي للحرب على غزة..."[1].

ب. نموذج الخطاب السياسي الإسرائيلي:

حرص الاحتلال وبعض داعميه الغربيين في خطاباتهم على إظهار حرب ما بعد السابع من أكتوبر كحرب ذات طابع حضاري بين دول الحضارة والتنوير ضد دول مجموعات الظلام والحيوانات البشرية، يمثل التصوير للمجتمع الفلسطيني، وجهة نظر غربية استشراقية، تشبه تصور المستعمرين للثقافات الأفريقية على أنها ظلامية متخلفة عنيفة، ليستمد قادة الاحتلال خطاباتهم من ذخيرة الاستعمار ليصف به الشعب الفلسطيني.

يقول نتنياهو:

"سوف نعمل كل ما يلزم لإعادة المخطوفين، وطبعا حماس يستحقون الموت، الكبينت الأمني ورئيس الأركان والقوات الأمنية تعمل على تحقيق أهداف الحرب حتى الانتصار، نفعل ذلك من دون اعتبارات سياسية، هناك هدف واحد نُصب أعيننا فقط وهو إنقاذ الدولة وإحراز النصر، نُمطر حماس بالنيران، ولقد اغتلنا الآلاف من المخربين، ونحضر للتدخل البري لن أفصل متى وكيف وكم سيشارك، لن أفصل لاعتبارات التي نأخذها في الحسبان، وأغلبها ليست معروفة للجمهور، وهكذا يجب أن تكون الأمور من الأفضل أن يكون الأمر هكذا حتى نحافظ على حياة جنودنا.

أريد أن أكون واضحا توقيت عمل الجيش يحدد من خلال كبينت الحرب مع رئيس الأركان، ومع كل من له صلة بالأمر لتوفير الظروف الملائمة عندما ندخل لغزة، وفي نهاية الحرب سننتقم من أولئك القتلة الذين ارتكبوا أهوالا فظيعة، حماس داعش أدعو الجمهور غير المشارك في غزة اذهبوا إلى الجنوب اذهبوا إلى جنوب القطاع، وإلى سكان اسرائيل حتى في خضم هذه الحرب لا ننسى أبدا هذا الألم الكبير لفقدان أكثر من 1400 من الإخوة والأخوات لنا، والذين ذبحوا بدم بارد وسقطوا في معارك بطولية من هؤلاء الوحوش الذين جاءوا ليقتلوننا، هذا الألم كالسكاكين

[1]- إسماعيل هنية، مقاربة لإنهاء الاحتلال وإقامة دولة فلسطين، قناة الجزيرة، قبل ستة أشهر،2023م.

وكالرماح في صدورنا وقلوبنا، الحكومة ستحدد أيام حداد وطني عليهم للذين سقطوا دفاعا عن أرضهم في غلاف غزة. من آلام هذه الحرب سنولد من جديد كشعب لا توجد مقولة أفضل من هذه وأصح من هذه.

أطأطئ رأسي أمام كل العائلات التي عانت من الويلات، أعرف أن حياتهم لن تعود كما كانت وأرسل إليهم من أعماق قلبي عناقا حارا، وزراؤنا يمدون يد المساعدة، لكل من يحتاج المساعدة أجليْنا عشرات الآلاف من الناس، ونقلناهم إلى أماكن أخرى في قلب الدولة، الوزراة تعد خططا لمساعدة الجميع كما فعلنا في كورونا لن يبقى أحد في الخلف ووزير المالية طبعا سيسهر على تحقيق هذا، سنحيي هذه البلْدات من جديد ونرمم حياة الناس. منذ بداية الحرب نقلنا ست فرق طوارئ، وسوف نضيف قوى جديدة إلى ذلك المجهود، نشجع الناس على أن يتسلحوا دفاعا عن النفس، وأيضا نجند قادة العالم معنا، الكثير منهم يفهمون ما قلناه وما كررناه منذ 2014 م، حماس هو داعش وداعش هي حماس.

أقول، إن حربنا على حماس هي حربهم أيضا، حربنا ضد حماس هي امتحان للإنسانية جمعاء إنه الصراع بين محور الحرية والتقدم ومحور الشر، نحن أولاد النور وهم أولاد الظلام، وسوف ننتصر على الظلام، مواطني إسرائيل السابع من أكتوبر كان أسودا في تاريخنا سوف نفهم طبعا، و نحقق فيم حدث، وهذا الفشل وهذا الإخفاق سوف يُفحص كله، كلنا سنعطي أجوبة بمن فيهم أنا، ولكن هذا سيحدث بعد الحرب، أنا الآن مسؤول عن ضمان مستقبل الدولة، ووظيفتي أن أقود الدولة والشعب إلى انتصار حاسم على أعدائنا، علينا الآن أن نستجمع قوتنا من أجل هدف واحد؛ الانقضاض والتقدم إلى الأمام من أجل الانتصار، ومن منطلق إيماننا بأبدية دولتنا إسرائيل، وكما قال نتنياهو فلن نسمح بأن تعيش حماس إلى جانبنا ولن تكون حدودك مهللة "[1].

2.4. الاستعارات التصورية البانية للخطابين الفلسطيني والإسرائيلي

سنحاول فيما يلي تصنيف أبرز الاستعارات التصورية الموجودة في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي، وذلك بالاعتماد على جدولين؛ الأول خاص بالخطاب السياسي الفلسطيني، والثاني خاص بالخطاب السياسي الإسرائيلي.

[1]- نتنياهو، مؤتمر صحفي، قناة سكاي نيوز، قبل ستة أشهر، 2023م.

- الجدول الأول:

الاستعارة التصورية في الخطاب الفلسطيني	التعابير الاستعارية	نوع الاستعارة التصورية
استعارة "المقاومة إنسان"	- المقاومة الباسلة تقف شامخة	استعارة أنطولوجية (تشخيص).
استعارة "غزة إنسان"	- سلام عليك يا غزة – ترسم لوحة الحرية والشرف – غزة الوفية – أصبحت مَهوى أفئدة الملايين. - غزة تقفين صابرة محتسبة	استعارة أنطولوجية (تشخيص).
استعارة "فلسطين فوق/ العدو تحت".	- شعبنا الفلسطيني البطل-أعاد القضية إلى صدارة المشهد العالمي-يلعنون عدوك الحاقد-سيحاسب مهما طال الزمن أوقصر.	استعارة اتجاهية.
استعارة "المعركة كتاب".	- جريمة القرن التي كتب فيها بيده شهادة وفاته كمحتل- نترجم هذا الصمود الأسطوري.	استعارة بنيوية
استعارة "الصراع رحلة"	- اتفاق يفضي إلى إنهاء الحرب - وضعنا ثلاثة ضوابط من أجل التوصل إلى اتفاق.	استعارة بنيوية
استعارة "الزمن وعاء"	- المعركة تدخل شهرها السادس. - تحولا استراتيجيا في مسار الصراع مع العدو.	استعارة أنطولوجية (الشهر وعاء)

-الجدول الثاني:

الاستعارة التصورية في الخطاب الإسرائيلي	التعابير الاستعارية	نوع الاستعارة التصورية
استعارة "إسرائيل فوق / حماس تحت".	-حماس محور الشر –اسرائيل محور الحرية والتقدم– حماس يستحقون الموت	استعارة اتجاهية
استعارة "الدولة إنسان".	-إنقاذ الدولة – سنحيي هذه البلدات –قلب الدولة.	استعارة أنطولوجية (إسرائيل جسد).
استعارة "حماس حيوانات".	-حماس هي داعش وداعش هي حماس– حماس وحوش- اغتلنا آلافا من المخربين.	استعارة بنيوية.
استعارة "الألم آلة حادة".	-هذا الألم كالسكاكين كالرماح في صدورنا وقلوبنا- الألم الكبير لفقدان أكثر من 1400 من الإخوة والأخوات لنا.	استعارة أنطولوجية (الألم شيء).
استعارة "القادة تحت/ الشعب الإسرائيلي فوق".	-أحني رأسي – إلى سكان إسرائيل حتى في هذه الحرب لن ننسى أبدا هذا الألم الكبير-أرسل إليهم من أعماق قلبي عناقا حارا.	استعارة اتجاهية.
استعارة "الحرب رحلة".	-منذ بداية الحرب نقلنا ست فرق طوارئ- في نهاية الحرب سننتقم من أولئك القتلة.	استعارة بنيوية.
استعارة "إسرائيل نور /حماس من ظلام".	- نحن أولاد النور، وهم أولاد الظلام – سوف ننتصر على الظلام.	استعارة انطولوجية وعائية (النور وعاء/الظلام وعاء).

يتضح من الجدول أعلاه؛ تصنيف الاستعارات التصورية الموجودة في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي، اعتمادا على بيان التعابير اللغوية وتحديد النوعية.

سنحاول في المطلب الآتي تحليل ما تم تصنيفه من الاستعارات التصورية، وذلك للوقوف على النسق التصوري الذي بُني عليه كل خطاب.

5. بنيات الاستعارات التصورية في الخطابين الفلسطيني والإسرائيلي

يُعد الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي من أبرز الخطابات المتداولة منذ أوائل القرن الماضي، ومازال صيته إلى الآن، عُرف بحدته في تقديم تصورات عديدة للمتلقي، به تحاول فلسطين فضح الكيان الإسرائيلي ومواجهة ظلمه وطغيانه، وتسعى إسرائيل من خلاله إلى تأسيس نسق مبني على بشاعة فلسطين وحيوانيتها، وتغليط المجتمع الدولي من أجل كسب تعاطفه.

إن النسق التصوري الذي يوجّه خطاب فلسطين وإسرائيل، له طبيعة استعارية بالأساس؛ إذ تقوم الاستعارة بثلاثة أدوار رئيسة: تجمع بين مجال تصوري (مصدر) ينبثق منه الفهم، ومجال تصوري (هدف)ينبغي للقارئ تمثله، وتسعى إلى تعميق جملة من التصورات المتعلقة بالتجربة والمعرفة وتحويلها إلى آليات إدراك وفهم للوجود، وتنهض بكيفية جديدة في مقولة دوال (المقاومة / غزة / فلسطين / المعركة / الصراع... النصر/الدولة/حماس/الألم)، وإبداع تشابهات طرازية / أُسرية بين هذه الدوال وعناصر أخرى تكون مختلفة ومتباعدة.

يجلعنا التمعن في تلك الطبيعة الاستعارية نستنتج أن اسماعيل هنية ونتنياهو قد استلهما من تجربتهما المعرفية والثقافية[1] الاستعارات والمجازات، حيث يسقطان ميدانا تصوريا على ميدان تصوري آخر، وقد فرض علينا الخطاب الفلسطيني والإسرائيلي اعتماد آليات التوجه المعرفي لكشف النسق التصوري المتمثل في الاستعارات التصورية المصنّفة، وبيان كيفية اشتغال ذهن المخاطِبين في تصورهما لأنفسهما وللمقاومة والحرب.

[1] -تجدر الإشارة، أن متمعن الخطاب الفلسطيني يلحظ مرجعيته الإسلامية، فالمخاطِب يلقي خطابه وَفق ما تمليه تجربته الثقافية، يتضح ذلك من خلال المفردات المستعملة من قبيل: بسم الله الرحمان الرحيم/ أمتنا العربية والإسلامية/رمضان/ سلام على غزة..). عكس ذلك يرى المتمعن في الخطاب الإسرائيلي أنه بُني انطلاقا من مرجعية غير إسلامية (يهودية) وفق تجربة المخاطِب الذي يظهرُ في خطابه معاداته لفلسطين ليس باعتبارها دولة فقط، بل لكونها دولة إسلامية همجية وحشية في نظره.

سنحاول فيما سيأتي، تحليل الاستعارات التصورية التي تم تصنيفها في الجداول السابقة، قصد الوقوف على التوافقات والتناسبات بين المجالين المصدروالهدف، والغاية من استعمالها.

1.5. الاستعارات التصورية في الخطاب السياسي الفلسطيني

- استعارة "المقاومة إنسان"

إحدى الاستعارات الأكثر تواترا في الخطاب الفلسطيني هي الاستعارة أنطولوجية – تشخيصية- : "المقاومة إنسان"، يتم فيها تحديد المقاومة باعتبارها إنسانا، وذلك بإسقاط صفات بشرية عليها، فالمقاومة شيء لايرى أي أنها مجردة، ما يجعل المخاطِب يسقط عليه صفات يمتاز بها الإنسان حسب فهمه لذلك الهدف المجرد(المقاومة)، عن طريق ماهو مادي فيزيائي وهو المصدر (الإنسان)، ذلك عبر إسقاط رابطات وتناسبات من مجال المادة على مجال التجرد، يتضح ذلك في الجدول التالي:

الهدف	المصدر		
المقاومة	الباسلة (شجاعة)	تقف	شامخة
المقاومة عن إسماعيل هنية	كشخص شجاع	كإنسان واقف	شخص مرفوع الرأس

جدول توضيح الاستعارة التشخيصية

إن هذا الفهم التشخيصي الأنطولوجي للمقاومة يعني فرض بنية كيان الإنسان فرضا إدراكيا كليا، وإسقاط تلك البنية على ذلك الهدف المجرد(المقاومة)، فالمقاومة كما في تصور المخاطِب وإدراكه هي كالإنسان الذي يحاول الصبر والاستمرار رغم حدة الضرر الذي ألمّ به، فجاءت استعارته مشخصة على التجربة الحياتية، حيث بدا معنى المقاومة لدى المخاطِب من خلال إسقاط تمثيلات ذهنية لهذا الدال تكشف عن فهمه وتصوره له، إذ إن هذا الفهم أسس على مركزية جسدية وتجربة حياتية، يحاول من خلالها تصوير المقاومة بالشخص الشجاع الذي لا يهاب الآخر، والواقف مرفوع الرأس رغم الطغيان والهلاك من طرف العدو.

- استعارة "غزة إنسان"

استعارة أنطولوجية تتكرر عباراتها في الخطاب الفلسطيني، حيث يُشخصن وَفقها المكان(غزة) بصفات بشرية، فتصبح غزة كائنا حيا في تصور المخاطِب، وذلك عبر إسقاط مجال

المصدر (إنسان) على مجال الهدف (غزة)، لما تتوافق وتتناسب فيه غزة مع الإنسان، فالمخاطب استعار من المحيط تجربته فأسقطها على ما هو جماد.

يتضح من الشكل أعلاه؛ أن المخاطِب يمثل دال "غزة" باعتباره مستوى قاعديا أعلى، يتضمن مقولة أساسية من قبيل غزة، وكذلك يمثل "الإنسان" مستوى قاعديا أعلى؛ إذ يتضمن عددا من المقولات الأساسية/الفرعية من قبيل الرسامة والوفية والصابرة، وبجريان الإسقاط ما بين المجالين (غزة والإنسان) في المستوى الأعلى فإنه يسمح بتوسيع الإسقاط ما بين المجالين في مستوى أدنى يتمثل في: "رسم لوحة الحرية"، و"غزة الوفية"، و"تقفين صابرة محتسبة".

- استعارة "فلسطين فوق وإسرائيل تحت"

تعد الاستعارة الاتجاهية فوق-تحت من الاستعارات التصورية الأكثر استعمالا في الخطاب الفلسطيني، وذلك حسب تصور المخاطِب وفهمه، فالمخاطِب يبني تصوره عن فلسطين باعتبارها فوق (تتجه نحو الأعلى)، تسعى لتحقيق الحرية والانتصار على العدو، وإسرائيل باعتبارها تحت (تتجه نحو الأسفل) لما ترتكبه من مجازر وطغيان في حق الفلسطينيين. نبين ذلك في الرسم التالي:

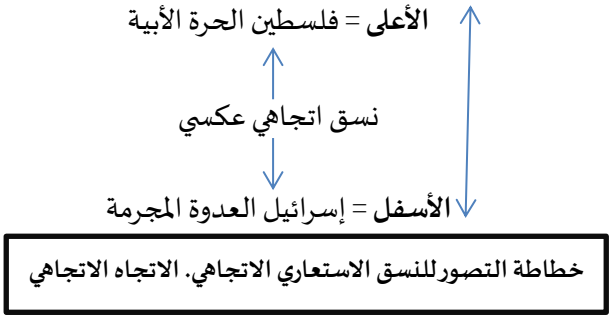

خطاطة التصورللنسق الاستعاري الاتجاهي. الاتجاه الاتجاهي

تؤكد الخطاطة أعلاه؛ أن فلسطين أعلى بوصفها دولة محتلة تسعى وتطمح للحرية والخروج تحت سيطرة الاحتلال الصهيوني من جهة، وإسرائيل أسفل بوصفها عدوا يسفك دماء الأبرياء ويغتصب أرضا غير أرضه من جهة أخرى، وهذه النسقية الاتجاهية مرتكزة على الجسد بوصفه مركزا، فبأجسادنا يتأسس فهمنا للأشياء وندركها، ونضفي عليها معنى. وبمركزية الجسد انبنى فهم اسماعيل هنية للجهات (فوق –أعلى، تحت-أسفل).

- استعارة "المعركة كتاب"

تؤسس الاستعارة البنيوية على تجربتنا المادية، رغبة منّا في فهم العالم وأشيائه عن طريق ما هو ملموس وفيزيائي، وقد اتضح لنا ذلك من خلال فهم اسماعيل هنية مفهوم المعركة / المجرد عن طريق ما هو فيزيائي (الكتاب: الكتابة، والترجمة)، فنجد المخاطِب يسقط ميدان الكتاب باعتباره ماديا ملموسا على ميدان آخر مجرد غير ملموس، قصد بيان أن المعركة تتجاوز كونها مجرد صراع بين طرفين إلى اعتبارها كتابا يدون أخطاء الأطراف المُتعاركة، ويسجل طغيان العدو وظلمه الجائر.

- استعارة "الصراع رحلة"

استعارة "الصراع رحلة أو مسار" هي استعارة بنيوية تجعل الصراع حركة ومسارا إلى هدف ما، فالمخاطب يفهم الصراع باعتباره رحلة لها مسار معين، تبدأ وتنتهي بعد ذلك.

لقد تمت بَنْيَنَة ميدان الهدف (الصراع) عن طريق ميدان المصدر (رحلة)، عبر إسقاطات وتناسبات، فالمخاطِب يتصور الصراع بوصفه كيانا له مسار معين (نقطة بداية، ونقطة نهاية) انطلاقا من تجربته الحياتية مع الرحلة ، فيتم حينئذ فهم الصراع من طرف إسماعيل هنية باعتباره مسارا بدأ منذ مدة ويجب أن ينتهي . نوضح ذلك في الترسيمة التالية:

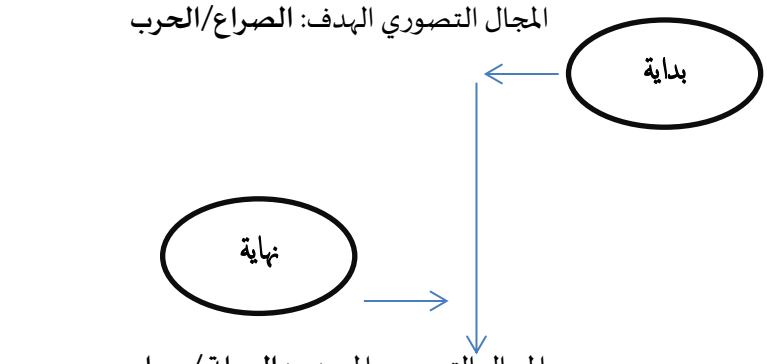

ترسيمة استعارة الصراع رحلة أو مسار

التو افقات: - الصراع له بداية وله نهاية كالرحلة أو المسار

إن الاستعارة البنيوية "الصراع رحلة" قائمة على إسقاط مجال الرحلة (المصدر) بسياقاته الثقافية، على مجال الصراع (الهدف)، أي أن فهم المخاطِب لدال الصراع ينطلق من ذهن متقوّمٍ بتجربة الجسد المادي، وبطريقة آلية لا واعية، جعلت اسماعيل هنية يسقط الصراع على الرحلة لتوافقهما في سمة المسار (بداية /نهاية)، في سياق حديثه عن المحاولات المتخذة في سبيل وقف الحرب.

- استعارة "الزمن وعاء"

إن فهمنا كثير ا من الأشياء ينطلق من خلال تصوراتنا ذات التوجه الفضائي، إذ تبدو لنا العناصر الأكثر تجريدا تنبثق من داخل أوعية، أو أنها مواد تحوي بداخلها كيانات أخرى، وهذا ما يجعل كثيرا من تصوراتنا وثيقة الصلة بخطاطة الوعاء، فقول المخاطِب "المعركة تدخل في شهرها السادس" يبين أنها عبارة عن استعارة الوعاء حيث إن المعركة كيان داخل وعاء الزمن (الشهر)، فنكون حينئذ إزاء الزمن صندوق داخله المعركة. ومنه فالمعركة (شيء) = داخل، والزمن(مادة) =وعاء. نمثل ذلك في الخطاطة التالية:

يتضح من الخطاطة السابقة أنه إذا كان (ب) في (ل)، وكان (ل) في (ف)؛ فإن (ب) في (ف)، وعلى ذلك فإذا كانت المعركة منتقلة داخلة في وعاء الزمن، والزمن يبدو موجودا داخل وعاء اللاشعور، فإن المعركة في وعاء اللاوعي واللاشعور، وهذا يثبت أن أجسادنا إما أن تكون أوعية وإما هي كيانات داخل أوعية، ومنها تنبثق تصوراتنا حول الأشياء، والمعركة وفق هذا التصور الفضائي تبدو كيانا داخل وعاء الزمن واللاوعي. لقد استعمل إسماعيل هنية هذه الاستعارة بغية فهم المعركة باعتبارها كيانا ماديا له داخل-خارج، وكما فهم الزمن بكونه وعاء (صندوقا) يحوب الكيان المادي.

2.5. الاستعارات التصورية في الخطاب السياسي الإسر ائيلي

- استعارة "إسر ائيل فوق وحماس تحت"

إن المتمعن في الخطاب الإسرائيلي يلحظ أنه ينطوي على استعارة اتجاهية(فوق/تحت) يستعملها نتنياهو كثيرا، وتفيد أن إسرائيل في الأعلى وفلسطين (حماس) في أسفل، اعتقادا منه أن إسرائيل متقدمة (تتجه نحو الأعلى)، وفلسطين شريرة (تتجه نحو الأسفل).

تعد استعارة إسرائيل فوق وفلسطين تحت في تجربة نتنياهو، من خلال تفاعله مع عدوه، تصورا راسخا في ذهن المخاطِب، والغاية الفكرية من ذلك هي السعي لتأسيس تصور تجاه كيانه، وتجاه العدو، عبر إسقاط صورة إسرائيل على صورة التقدم، وإسقاط صورة فلسطين على صورة الشر.

- استعارة "الدولة جسد"

استعارة انطولوجية (تشخيصية) تتكرر عباراتها في الخطاب السياسي الإسرائيلي. تُقارن وَفقها الدولة بأعضاء الجسد البشري (القلب../إنقاذ.. روح) ومن تم تُرى إسرائيل ككائن حي، له روح وأعضاء.

يبين ذلك، إسقاط نتنياهو المعرفة المكوَّنة عن ميدان المصدر جسد الإنسان على ميدان الهدف المكان (إسرائيل)، التي أصبحت لها أعضاء مثلها مثل الإنسان؛ يصاب وقد يموت وقد يُنقذ، في هذه الحالة نرى ما كان غير بشري (إسرائيل) بشريا له قلب ينبض "نقلناهم إلى أماكن أخرى قلب الدولة"، و له روح "سنحيي البلدات" .:

يتضح من الشكل السابق، أن تمة استعارة أنطولوجية تشخيصية في الخطاب السياسي الإسرائيلي خصص فيها نتنياهو الشيء الفيزيائي (المكان/الدولة/إسرائيل) كما لو كان جسد شخص (قلب/ روح / ..)، و ذلك لتقديم تصور عن واقع المكان الذي، بالرغم من دماره واحتضاره، يحضن أولاده (الشعب)، وسيتم إنقاذه.

- استعارة "حماس حيو انات"

لقد عرفت الاستعارة البنيوية **"حماس حيوان"** تواترا في الخطاب السياسي الإسرائيلي، وهي الاستعارة التصورية التي تتولد منها التعابير الاستعارية من قبيل: "حماس داعش"، و"حماس وحوش"، و"اغتلنا آلافا من المخربين"، بحيث يميل المخاطِب إلى وصف الخصم (حماس/فلسطين) بصفات سلبية، فسمى الخصم بالحيوانات الوحشية، دلالة على همجيته وتوحشه.

تسمح هذه الاستعارة بإقامة تصور لما هو حماس بالاستعانة بشيء نفهمه بسهولة أكبر، وهو كائن فيزيائي تتمثل في الحيوان، إننا نجد الهمجية في مملكة الحيوان فقط، ولا نجدها في مكان آخر إلا عند الحيوانات البشرية، واستعمال استعارة حماس حيوان، كان لتأسيس تصور حول الخصم باعتباره حيوانا في أفعاله وسلوكاته، وليس كأي حيوان بل حيوان وحشي.

يتبين لنا أنه تمة بنينة ميدان الهدف (حماس) من خلال ميدان المصدر (الحيوان)، وذلك باستعارة نتنياهو من المحيط وعناصر الكون تجربتَه فأسقطها على ما هو بشري (+عاقل) ، قصد تأسيس تصور عن حماس مفاده أن حماس همجية و بلطجية ظاهرا، وإسرائيل سلْمية وعاقلة ضمنيا؛ ذلك أن حماس تُفهم عند المخاطِب باعتبارها حيوانا وحشيا. إن استخدام المخاطِب لهذه الاستعارة ما هو إلا ذريعة لخدمة أغراضه السياسية وتشويه صورة الخصم.

- استعارة "الألم آلة"

تعتبر استعارة **"الألم آلة"** استعارة أنطولوجية، وذلك باعتبار الألم شيئا غير فيزيائي، وتم فهمه استعاريا **كمادة (آلة)**.

أ- هذا الألم كالسكاكين كالرماح في صدورنا وقلوبنا؛

ب- الألم كبير لفقدان أكثر من 1400 من الإخوة والأخوات لنا.

لقد تم استخدام استعارة "الألم آلة" انطلاقا من التعابير الاستعارية أعلاه بغية فهم حالة الألم باعتبارها مادة أو شيئا فيزيائيا نَقتل به أو نسفك به الدماء، قابل للقياس (كبير الحجم...).

إن الاستعارة أعلاه، قائمة على إسقاط مجال الألم والمعاناة على مجال الآلة للدلالة على أن إسرائيل تعاني بفعل سلوكات وأفعال من سمتهم وحوشا، وهم الذين أدوا، في نظرها، إلى موت عائلات إسرائيلية بأكملها وتفرق الوطن الواحد في نظر نتنياهو، وهذا الاستخدام الاستعاري توسّل به نتنياهو عمدا من أجل تكريس مبدأ سياسي مؤداه أنّ إسرائيل رابحة وفلسطين خاسرة، وهي سياسية مدبرة لكسب تعاطف الرأي العام وتوجيه التهم للخصم.

إنّ القول "هذا الألم كالسكاكين كالرماح في صدورنا وقلوبنا" تشبيه للألم بالآلة الحادة، والمعلوم أن الآلة الحادة يمكن القتل بها، وإذا ما حاولنا تفكيك العبارة، وبالاستناد إلى سياق ورودها في الخطاب نجد أن إسرائيل متضررة وتستنجد بالغرب عبر التمويه لإنقاذها ضمنيا، بمعنى أن القضية لم تعد تخصهم وحدهم، بل تخص الغرب بأكمله.

هذا وتحيل العبارة الاستعارية "الألم كبير لفقدان أكثر من 1400 من الإخوة والأخوات لنا" إلى أن الألم باعتباره آلة حادة خلف آلاف القتلى، وهذا تعبير عن معاناة إسرائيل في نظر المخاطِب، وتصوره أنهم ضحايا ووحوش.

- استعارة "القادة تحت /الشعب فوق"

إن استعارة التفضية متجذرة في الخطابات الإسرائيلية انطلاقا من التجربة الثقافية والفيزيائية، فاستعارة "القادة تحت/ والشعب فوق" هي نتاج الوضع الفيزيائي المُعاش.

أ- أطأطئ رأسي.

ب-أرسل إليهم، أي الإسرائيليين، من أعماقِ قلبي عناقا حارا.

يتضح من التعابير الاستعارية السابقة أن نتنياهو يصور الضعف والمعاناة عن طريق النسق الاستعاري الاتجاهي، الذي يفيد أن القادة الإسرائيليين تحت (أسفل)، والشعب الإسرائيلي فوق (أعلى)، فالقادة هنا هم سبب المعاناة التي لا يقوون على استمراريتها، وبالتالي يتجه هؤلاء القادة نحو الأسفل، بينما الشعب بريء لا ذنب له.

إن عبارة (أ) توضح اتجاه المخاطِب نحو الأسفل باعتباره المسؤول الأول عما يعيشه الشعب من تأزم الأوضاع والمعاناة، والعبارة (ب) تبين أن اتجاه الشعب نحو الأعلى، فالعناق له سمة +فوق، وبالتالي تصبح صورة قادة مسقطة على صورة المعاناة والضعف من جهة، ومن جهة أخرى تسقط صورة الشعب على صورة البراءة.

- استعارة "الحرب رحلة"

تستعمل الاستعارة البنيوية "**الحرب رحلة**" كثيرا في الخطابات السياسية، وتختلف غاية استخدامها في التعابير اللغوية، فنتنياهو عمد إلى استعمالها باعتبارها (الحرب) **مسارا** له بداية ونهاية (رحلة).

أ- منذ بداية الحرب نقلنا ست فرق طوارئ.

ب-في نهاية الحرب سننتقم من أولئك القتلة.

يتبين لنا من التعابير الاستعارية السابقة؛ أنه تمت بَنْيَنَة مجال الحرب (الهدف) من خلال مجال (الرحلة)، وذلك لتوافق المجالين وترابطهما نسقيا داخل تجربتنا المَسَارِيَّة، فكلاهما له نقطة انطلاق، ونقطة نهاية.

إن عبارة (أ) تبرزأن الحرب بدأت وتتجه عبر مسار فيه تحولات وتغيرات، بينما العبارة (ب) تفصح عن حتمية نهاية الحرب، فمهما طالت ستنتهي، كما الشأن بالنسبة للرحلة في تجربتنا التي تمتاز ب +مسار. لقد فهم نتنياهو الحرب بوصفها كيانا، يحيل إلى مُدركاته وفهمه البشري الخاص،

وعلى تجربته تجاه الحرب، فهو ينظر إلى الحرب باعتبارها رحلة بدأت بانتقام، ويجب أن تنتهي بانتقام مضاعف تجاه العدو الفلسطيني، فغاية نتنياهو ليست هي الهدنة كما هو الشأن بالنسبة للفلسطينيين، بل القتل والسيطرة والفوز.

-استعارة "إسرائيل نور، وفلسطين ظلام"

استخدم نتنياهو في خطابه السياسي استعارة الوعاء التي تجلت في كون إسرائيل نورا وفلسطين ظلاما، وذلك من خلال انبثاق إسرائيل من وعاء النور وفلسطين من وعاء الظلام، فيصبح بذلك كل من النور والظلام صندوقين خرجت منهما إسرائيل وفلسطين (خارج). إن استعمال هذا النوع من الاستعارات من لدن المخاطب يكون مقصودا لما تحمله من غايات إيديولوجية مرسخة في ذهن نتنياهو الذي يرى أن مرجعيته متنورة، لا تنطبق على الفلسطينيين والمسلمين عامة. نوضح ذلك في الخطاطة التالية:

نلحظ في الخطاطة السابقة أن المخاطِب لجأ إلى اعتماد استعارة الوعاء لأغراض إديولوجية تفيد أن إسرائيل نابعة من النور، محاولة كسب مشروعيتها وأحقيتها بأرض فلسطين، وأن فلسطين منبثقة من الظلام أي من الإسلام الذي يراه نتنياهو إرهابا. ومنه، تم إسقاط صورة النور على صورة إسرائيل، وإسقاط صورة الظلام على صورة فلسطين.

6. وظائف الاستعارات التصورية في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي

كشف لنا التوجه المعرفي الذي يبحث في كيفية اشتغال الذهن والذكاء، كيف سيّرت تلك التصورات الذهنية إسماعيل هنية في رسمه صورة الوضع المُعاش، ووصف المقاومة بأنها إنسان، وفلسطين باعتبارها أعلى والعدو أسفل، والصراع رحلة . . .ألخ. واتضحت لنا أيضا كيفية اشتغال ذهنه، ما يدل على أن تفكيره وسلوكه لهما طبيعة استعارية، كما أن تلك الطبيعة ليست واعية في اشتغالها الذهني. هذا وقد برز لنا تحليل استعارات الخطاب الإسرائيلي أن التعابير الاستعارية المستخدمة من لدن نتنياهو كانت تحمل إديولوجيا مرسخة في التفكير العدواني البشري، كما تحمل من جهة أخرى عدة مغالطات وتوجيه التهم إلى فلسطين بغية كسب الرأي العام الدولي.

إن النسقية الذهنية لإسماعيل هنية ونتنياهو هي نسقية لا واعية إلى حد ما، أي أنها تتم بصورة آلية من دون أدنى تفكير ، إلا أن هذا اللاوعي النسبي يظل مبرَّرا لأنه يكشف عن استعارات ذهنية أولية، أي أن التصورات النسقية المستمدة من الاستعارات معطى قابع في الذاكرة الجمعية المحيطة التي ينتمي إليها المخاطِبين.

لقد استنتجنا، انطلاقا من تحليل الاستعارات التصورية الموجودة في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي أن تلك الاستعارات -لها دور في الكشف عن النسقية الذهنية- تضطلع بعدة وظائف من قبيل: الوظيفة الإقناعية، والوظيفة الجمالية، والوظيفة الوجودية، والوظيفة الإكسيولوجية.

فأما **الوظيفة الإقناعية** فتتجلى بالنسبة للخطاب الفلسطيني بزعامة إسماعيل هنية في محاولة إقناع الأمة الإسلامية (لأنه يعي جيدا ميل الغرب تجاه الكيان الإسرائيلي) بأن الغرض الأسمى هو الهدنة ووقف الحرب شريطة إضفاء الشرعية دفاعا عن رغبة الفلسطينيين في البقاء على أرضهم، عكس ذلك يسعى الخطاب الإسرائيلي، بزعامة نتنياهو انطلاقا من استعمال الاستراتيجيات الخطابية (أبرزها الاستعارة التصورية)، إلى إيهام العالم بالمظلومية كسبا للتعاطف، وتحقيقا للمطالب السياسية منها والأيديولوجية، وذلك من خلال الرغبة في نزع الشرعية عن طريق تقديم الخصم (فلسطين/حماس) في صورة الوحوش والحيوان والاتهام بالوقاحة.

وأما الوظيفة الجمالية فمدارها على جمالية الصورة البلاغية والإسقاط المفهومي التخييلي بين مجالات الهدف المجردة ومجالات المصدر المادية المحسوسة، وانعكاس ذلك التخييل على قدرة تمرير أفكار وإيديولوجيات إلى المتلقي.

تتمثل جمالية الاستعارة التصورية في الخطاب السياسي في تأسيس تصورات وفهم أعمق حول كثير من الأشياء المجردة عن طريق الأشياء المادية، هذا بالإضافة إلى ما تنتجه الاستعارة التصورية في مستواها الأعلى وتناسباتها الفرعية من تماسك فكري أساسه انتظام معرفي في ذهن المخاطِبين.

والوظيفة الوجودية فتتجلى من خلال سعي المخاطِبين الفلسطيني والإسرائيلي إلى فهم المجردات (المقاومة/الحرب/الزمن/الألم) عن طريق المحسوسات والماديات المؤثثة لوجودهما الحياتي والمجتمعي(إنسان/رحلة/صندوق/آلة)، فيُسقطان تطابقات من المجال المادي على المجال المجرد، إمعانا في البناء الذهني للتصورات الاستعارية.

وأما **الوظيفة القيمية** فمدارها على ترسيخ قيمة المقاومة الإيجابية، وتعميق صورتها عن طريق المحسوس والمعيش والتجربة؛ فالمقاومة قيمة ثابتة ولها صورة فيزيائية يلحظها إسماعيل هنية، وذلك من أجل تقريب مفهوم المقاومة من خلال ما تركّز في ذهنه من مخزون، أي أن صورة

المقاومة في سبيل الوطن منبثقة لديه من خلال ما يختزنه الذهن الجمعي الفلسطيني والعربي عامة. ومن جهة أخرى ترسيخ قيمة الحرب بحيث نجد الخطاب الإسرائيلي بزعامة نتنياهو يرسخ الانتقام بواسطة الحرب باعتبارها الوسيلة الوحيدة للقضاء على فلسطين(حماس)، فالحرب أداة يتم الانتقام بها حسب نتنياهو، ومن الضروري استخدامها لتحقيق الانتصار.

الخاتمة:

انطلاقا مما سبق، فقد كان هذا البحث تحليلا للبنى الاستعارية في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي من خلال النموذجين المختارين؛ حيث تبَيّن لنا من خلال التحليل اللساني المعرفي أن الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي على وجه الخصوص خطابان مُشبعان بالاستعارات التصورية أو لنقل شكلت الاستعارة لبّه فعليها يتأسس بناؤه ونسقه التصوري، وعلى أساسها يتوقَّع الفاعل السياسي بلوغ مقاصده والتأثير على المتلقي، واستهداف تصوراته وإقناعه.

لقد اتضح لنا أيضا أن الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي محكوم بالبنى التصورية المسؤولة عن الاستعمال والتفكير والفهم والتأويل، ولعل هذا ما يؤكد أن الخطاب السياسي دون غيره من الخطابات، قائم على مجموعة من المفاهيم والتصورات التي يقوم أغلبها على الاستعارة التصورية المعتمدة على تقابلات وتناسبات بين مجالات محسوسة وأخرى تجريدية، خاضعةٌ للثقافة السياسية والإديولوجية للفاعل السياسي الذي يوظفها عن قصد ووعي منه.

إن تحليلنا للاستعارات التصورية الموجودة في الخطاب السياسي الفلسطيني والإسرائيلي جعلنا نكتشف أن تأسيس الاستعارات نابع من إديولوجية وثقافة المخاطِب، وهو الذي يربط كل جملة يتلفظ بها بمرجعيته لبناء نسقه التصوري. فنحلظ إسماعيل هنية يستحضر في خطابه عبارات قيميّة من قبيل: بسم الله الرحمان، سلام عليك يا غزة، يا أمتنا الإسلامية إلخ، بينما في الجهة الأخرى يستعمل نتنياهو عبارات من قبيل: حماس داعش، سننتقم من أولئك القتلة، سوف ننتصر على الظلام. وذلك بسبب عدائه للإسلام وليس فقط لفلسطين، وكرهه للشعوب العربية والإسلامية.

لائحة المصادر والمراجع

المراجع باللغة العربية:

- البوعمراني محمد صالح، دراسة نظرية لعلم الدلالة العرفاني، مكتبة علاء، ط1، 2009م، صفاقس، تونس.
- بكار سعيد، (خطاب الحقيقة وحقيقة الخطاب: مقاربة نقدية للخطاب السياسي)، مجلة دراسات (المجلد 10، العدد 02، ديسمبر 2021)، جامعة ابن زهر، المغرب.
- جورج لايكوف، مارك جونسون، النظرية المعاصرة للاستعارة، تر. طارق النعمان،مكتبة الاسكندرية 2014م، الإسكندرية، مصر.
- جورج لايكوف، ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر. عبد المجيد جحفة، دار توبقال، ط2، 2009، الدار البيضاء، المغرب.
- جورج لايكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، ترجمة عبد المجيد جحفة وعبد الغله سليم، دار توبقال، ط 2،2005، الدار البيضاء، المغرب.
- جورج لايكوف، مارك جونسون، الفلسفة في الجسد، تر. عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1، 2016، بيروت، لبنان.
- الديري علي أحمد، مجازات بها نرى كيف نفكر بالمجاز؟، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2006م، بيروت، لبنان.
- الزناد الأزهر، نظريات لسانية عرفانية، دار محمد علي، ط1، 2010م، تونس.
- السد نور الدين، الأسلوبية وتحليل الخطاب –دراسة في النقد العربي الحديث، تحليل الخطاب الشعري والسردي، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، 1997م، الجزائر.
- الشمري غسان إبراهيم، عن أسس اللسانيات المعرفية، مبادؤها العامة، مجلة أبحاث لسانية؛ معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، 2017م، المغرب.
- العامري عبد العالي، التصور الاستعاري لبنية المسار في اللغة العربية، مجلة اللسانيات العربية، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية العدد 3، 2016م.
- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في البلاغة العربية مقاربة معرفية، دار توبقال، ط1،

2001م، الدار البيضاء، المغرب.

- عفيف شديد عامر، الخطاب السياسي لحركة "حماس" قبل وبعد انتخابات 2006، حدود الثبات والتغير؛ رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا في جامعة بير زيت،2010م، فلسطين.
- غاليم محمد، المعنى والتوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط، 1999م، المغرب.

المراجع باللغة الفرنسية:

- HOUDE, O, and al. Vocabulaire des sciences cognitives, p.u.f, paris 1998.
- keith brown, & Jim miller., The cambridge dictionary of linguistics, cambridge university press, 2013 .
- David,mastsumoto. The cambridge dictionary of psychology, cambridge university press, 2009.
- David,mastsumoto. The cambridge dictionary of psychology, cambridge university press, 2009.
- James R. Hurford, brondan heasley, & mechel B. Smith : A coursebook, 2nd, cambridge university press 2007.

الويبوغرافيا:

- Https : // WWW.Oxford. Learnersdictionaies. COM./
- Https: // www.Larousse.Fr/ Dictionnaires Francais.